الإمام ميمون مولى الفخار
وكتابه الدرة الجلية في نقط المصاحف العلية

الدكتور: عبد الكريم بوغزالة
معهد العلوم الإسلامية – جامعة الوادي

ملخص

يتناول البحث عَلَما من أعلام المغرب العربي في علم الضبط القرآني والقراءات القرآنية، حياته الشخصية والعلمية، وقد كان لهذا الإمام جهود كبيرة في خدمة كتاب الله تعالى، في علم القراءات القرآنية خاصة قراءة الإمام نافع، ومنها كتابه: الدرة الجلية في نقط المصاحف العلية، الذي نظم به علم الضبط القرآني من مصادره الأصلية، كمحكم الداني، وأصول الضبط لأبي داود سليمان بن نجاح، وتبيان التجيبي...

والبحث يعرف بالكتاب مع بيان القيمة العلمية له، وأثره فيمن بعده.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد خدم المشارقة كتاب الله تعالى وذلك بالتأليف في علم التفسير والفقه والقراءات القرآنية وعد الآي والرسم القرآني وضبط المصحف...

فدونوا في ذلك مصنفات عديدة كانت مرجع الباحثين منذ تأليفها إلى يومنا هذا.

وقد كان للمغاربة دور في هذه الخدمة وزيادة، إذ كانت مناطقهم محاضر علمية

لقرون عديدة، يخدمون كتاب الله تعالى، ويؤلفون المصنفات العديدة المتعلقة به في شتى الفنون.

وممن ساهم في هذه الخدمة إمام من أئمة المغرب وعلم من أعلامه، هو: ميمون مولى الفخار، الذي كان ينظم المنظومات العلمية في القراءات القرآنية، ويدرس، ويناظر...

ومن كتبه الماتعة التي خدم بها المصحف الشريف منظومته الدرة الجلية في ضبط المصاحف العلية.

وإدراكا مني لقيمة هذه المنظومة وعظيم فائدتها حاولت أن أعطي صورة عنها في هذا البحث مبينا أثرها وفائدتها، معرفا بهذا الإمام، ذاكرا حياته الشخصية والعلمية.

وتكلمت عن ذلك في مطلبين هما:

المطلب الأول: حياة الإمام ميمون الشخصية والعلمية.

المطلب الثاني: كتاب الدرة الجلية وقيمته العلمية:

المطلب الأول

حياة الإمام ميمون الشخصية والعلمية

حياته الشخصية:

اسمه: ميمون بن مساعد.

كنيته: أبو وكيل.

نسبته: المصمودي.

ولاؤه: مولى أبي عبد الله الفخار.

جاء في فهرس الفهرس للكتاني: كان مولى لأبي عبد الله الفخار، يعمل له بالنهار، ويقبل على صلاته بالليل، وكان مجاب الدعوة[1].

قال السخاوي: أقام في الرق حتى مات جوعا[2].

وقال ابن القاضي: توفي بمجاعة كانت بفاس مع جماعة من الفقهاء الأعلام ماتوا كلهم جوعا[3].

وفاته: توفي سنة ست عشرة وثمانمائة (816 ه)[4].

حياته العلمية:

شيوخه:

طلب العلم على جملة من الشيوخ منهم:

1 . محمد بن سليمان القيسي الضرير، أبو عبد الله، ت: 810هـ كانت بينه وبين شيخه القيسي محاورات علمية عن طريق النظم، في مسائف في رواية ورش عن نافع[5].

2 . محمد الزيتوني أبو عبد الله: ورد في إسناده للدرر اللوامع عن ناظمها أبي الحسن ابن بري[6].

3. محمد بن عمر اللخمي، أبو عبد الله: ورد في إسناده في القراءات السبع[7].

تصدره للإقراء:

تصدر الإمام ميمون رحمه الله تعالى للإقراء، من ذلك إقراؤه الدرر اللوامع لابن بري، في جامع القرويين بفاس، ذكر ذلك ابن القاضي في كتابه الفجر الساطع[8].

تلاميذه:

من تلاميذه: أبو الحسن علي بن أحمد الورتناجي، الشهير بالوهري[9].

مؤلفاته:

قال الحضيكي: له تواليف في علوم القرآن رسما وقراءة[10]. ومن مؤلفاته:

1. نظم الآجرومية في النحو.

2. تحفة المنافع في أصل مقرأ الإمام نافع.

3. المورد الروي في نقط المصحف العلي.

4. نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

5. قصائد خاطب بها أهل مالقة[11].

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

أثنى عليه جملة من العلماء ممن ترجموا له، ننقل ما أورده بعضهم:

قال الحضيكي في طبقاته: كان رضي الله عنه فقيها أستاذا صالحا[12]. وقال ابن القاضي: الأستاذ المؤلف[13]. وقال الكتاني في سلوة الأنفاس: الولي الشهير، ذو القدر الكبير...الشيخ الأستاذ الفقيه، المؤلف النزيه، المقرئ المحقق المجيد، المنتشر الصيت عند كل قريب وبعيد[14].

المطلب الثاني

كتاب الدرة الجلية وقيمته العلمية

اسمه: الدرة الجلية، هكذا سماها الناظم نفسه.

قال رحمه الله:

سمّيتها بالدرة الجلية إذ أسفرت بوعدها وفيّة[15]

وورد اسمها في بعض المخطوطات: منظومة الدرة الجلية في الرسم والضبط، وفي بعضها: الدرة الجلية في نقط المصاحف العلية[16].

تاريخ نظمها:

نظمها في الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة: عشر وثمانمائة (810هـ)[17].

قال رحمه الله:

تم بحمد الله هـذا الرجـــز مقرب المعنـــى وجيز منجز
في خامس العشرين من ربيع شهر النبي المصطفى الشفيع
عـــام ثـــمان ومـائة وعشـــر وبدأه مهـل ذاك الشهـــر[18]

عدد أبياتها:

عدد أبيات المنظومة: 1570 بيتا.

مصادرها: اعتمد المصنف على جملة من المصادر في الفن منها:

1. ذيل المقنع: للإمام لأبي عمر عثمان بن سعيد الداني.
2. كتاب المحكم في نقط المصاحف: للمؤلف نفسه.
3. أصول الضبط: لأبي داود سليمان بن نجاح، وهو ذيل كتابه التنزيل أو مختصر التبيين لهجاء التنزيل.
4. التبيان: لأبي إسحاق التجيبي.

ولقد صرح الإمام ميمون بهذه المصادر فقال:

في ضمنها: نقط: الإمام الأعلم حيث بدا في مقنع ومحكـم
ونقـــط تنـــزيـــــل أبـــي داود كذا التجيبي فع المعـــدودا
فإن رأيت في ســواها حـــكما مستحسنا أودعته ذا النظما
لكي تكون هذه القصيـدة لنصهم جامعة مفيدة[19]

مخطوطات الكتاب:

لهذا الكتاب مخطوطات كثيرة، منها:

1 . نسخة مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة النبوية، رقم: 259، ضمن مجموع سيدنا عثمان[20].

2. نسخة خزانة ابن يوسف بمراكش المغرب، رقم: 610[21].

طبعاتها:

طبعت هذه المنظومة بتحقيق ياسر إبراهيم المزروعي، بعنوان الدرة الجلية في رسم وضبط المصاحف العلية، للأستاذ العلامة الإمام ميمون التونسي، طبعته وزارة الأوقاف بالكويت.

وأنبه على خطأ وقع في غلاف الكتاب في نسبة مؤلفها.

فقد ذكر أنه التونسي، ولا علاقة لتونس به.

نموذج من المنظومة:

قال رحمه الله مبينا أحكام ضبط النون الساكنة:

القول في وضع سكون النون وحرفها البعدي عن يقين

إن سكنت قبل حروف الحلق صور سكونها ودن بالحق

صفرا يرى أو جرة فلتجعل ولا تشدد ما بعيد و اشكل

وذاك مطلق بأي شكل رسمت مصحفا وثق بالقول

لكن أبو داود فيه فضلا جرا مدورا وصفرا مشكلا

فدل ذا الوصف على البيان وأنها عنه من اللسان

فإن أتى من بعد نون :لم نرا شدد ومن سكونه النون عرا

دل على خلوص الإدغام إذ معه لفظ النون في انعدام

واليا كذا والنون إن أدغمتا عنة ذا النون وإن أظهرتا

غنته قبلهما والراء واللام فالوجهان في الهجاء

سكون نونه وشد الأربع | والآخر التجريد منهما فع
وضع سكون النون للبيان | لم ينقلب فيه للفظ الثاني
والشد ينبي أنها قد قلبت | وأدخلت في الثاني حال مزجت
وذاك مقصود عليه العمل | وهو الذي في كتبنا يستعمل
تعرية النون بالانقلاب | تؤذن والإدغام في الإعراب
تعرية الشد بعيد تطلب | إظهارها وأنها لا تقلب
فصار كالإخفاء في التعليل | وذلك المقصود في التنزيل
وحكم ما بقي من الحروف | من بعد نون عر من موصوف
من سكن ذا النون وشد الحرف | وشكله يبقى فريدا يكفي
والخاء والعين لدى الإخفاء | كمثل هذه بلا امتراء
ودل ذا أيضا على الحالين | القلب والإظهار دون مين
إن سكنت نون قبيل الباء | تقلبها ميما لدى الأداء
ورسمها كرسمها للفاء | أو ميم صغرى شاع في الهجاء
عند سليمان عليه العمل | وشاع للداني الطريق الأول
من رسم الميم على الملفوظ دل | وإنما خصص ميما بالبدل
إذ شركت في غنة للنون | والباء في المخرج عن يقين
عبارة الداني مكان النون | وابن نجاح موضع السكون[22]

قيمة المنظومة العلمية وأثرها فيمن بعدها:

لهذه الأرجوزة قيمة علمية كبيرة تتمثل في الآتي:

أولا: إمامة مؤلفها فهو إمام مقرئ محقق مجيد كما قال الكتاني في سلوة الأنفاس، وقال كذلك: كان فقيها أستاذا[23].

ثانيا: كون القصيدة نظما لأهم مصنفات علم الضبط القرآني، وهي:

1. ذيل المقنع وكتاب المحكم في نقط المصاحف: للإمام لأبي عمر عثمان بن سعيد الداني.
2. أصول الضبط: لأبي داود سليمان بن نجاح، وهو ذيل كتابه التنزيل أو مختصر التبيين لهجاء التنزيل.
3. **التبيان: لأبي إسحاق التجيبي.**
4. شرح العقيلة: للبيب.

ثالثا: حَفِظَت لنا المنظومة مذهب إمام كبير من أئمة الفنّ ضاع كتابه وفقد، وهو كتاب التبيان لأبي إسحاق التجيبي، فلولا هذه المنظومة وبعض الكتب الأخرى ما بقي لنا من مذهب الإمام شيئا.

ومن المذاهب التي حكاها المصنف عن التجيبي ما يأتي:

أ- .موضع علامة المد:

. مذهب التجيبي أن يبتدأ بعلامة المد من حرف المد ثم يذهب به إلى الهمزة أو الحرف الساكن.

قال التنسي: قال التجيبي: يكون ابتداء المد من حروف المد، ويمر به إلى الهمزة أو الساكن[24].

وقد نقل في الدرة الجلية مذهب التجيبي فقال:

قال التجيبي من حروف المد يدخل بالمطة فز بالمد

وليك خارجا بها للهمز وساكن نوعيه دم في عز

ابن نجاح قال وسط المطه تكون ذي الحروف حصل بسطه[25]

.مذهبه في حكم وضع الجرة في موضع الهمزة في المتصل في حال النقل لورش مثل: ﴿الآخرة﴾﴿ردًا﴾﴿الأُولى﴾:

اختلف العلماء في حالة النقل عن ورش هل توضع مكان الهمزة التي حذفت ونقلت حركتها للساكن قبلها هل توضع عليها الجرة أو لا؟ يرى الإمام التجيبي عدم وضعها.

قال ابن القاضي: ذهب الناس على مذهب التجيبي، وظاهر الخراز الإطلاق، وكذا الشيخين[26].

قال ميمون في الدرة الجلية:

وللتجيبي هاهنا تنبيه

مستحسن أورده النبيه

يقول لا تجعل هذه الصلة

بألف لا ينبغي أن تفصله

كقوله الأُولى والأَرض الآخرة

ردا وءالان بنقل ظاهره

لأنها شبيهة بالوصل

ما شرطوا به يرى بالنقل[27]

رابعا: ثناء العلماء على هذه المنظومة:

أثنى على هذه المنظومة عدد من العلماء منهم:

القاسم ابن القاضي والد أبي زيد بن القاضي حيث أثنى على المنظومة ومؤلفاته عموما فقال: إن تآليف سيدي ميمون هي مدونة الفن[28].

خامسا: نقل العلماء عن الأرجوزة واستفادتهم منها وشرحهم لها:

وممن استفاد منها ونقل عنها:

أ- .الإمام عبد الرحمن بن القاضي: إمام القراءات والرسم والضبط، العلامة الشهير، من تلاميذ العلامة عبد الواحد بن عاشر، صاحب المصنفات الكثيرة في الفنون المذكورة. ومن كتبه التي نقل فيها عن الدرة الجلية:

أولا: كتابه بيان الخلاف:

نقل عنه في مواضع كثير أذكر منها:

1. عند الكلام على حكم وضع الصلة في ألف الوصل إذا لم يكن مما يوقف عليه:

قال ابن القاضي:

﴿بالْغَيْبِ﴾ [البقرة:2] ونحوه:

العمل بعدم جعل الصلة، ونقط الابتداء على مذهب التجيبي، وعلله بعدم صحة الوقف على ما قبله، جمعها بعضهم في قوله:(فكل وتب) ، وأورد عليه نحو: لابنه، وإليه أشار في الدرة[29] في قوله:

فألف الوصل بعيد التاء والواو والفاء بعيد الباء

كذاك بعد الكاف في الهجاء واللام يا صاح بلا امتراء

لا تجعل الصلة قالوا فيها لعدم الوقفكن نبيها[30]

2. في الكلام على كلمة: ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ [طه: 70]، هل تكتب بالواو أو لا؟

﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾: العمل بعدم الواو، وهو المشهور المختار.

قال في الدرة:

ولأصلبنكم في الشعرا كذاك في طه الخلاف كثرا
واختار ترك الواو فيه ابن نجاح حملا على سابقه ولا جناح
وكونه في لفظه معدوم ولم تجيء أيضا به الرسوم
بطيبة وكونه من بعضها خال فهاك وصفنا في نقطها[31]

ب. وممن شرحها سعيد بن سليمان الكرامي، وسمى شرحه: الاستضاءة بالدرة، اقتصر في شرحه على نثر معاني الأبيات[32].

ثانيا: كتابه الإيضاح لما ينبهم عن الورى في قراءة عالم أم القرى:

1. موضع الهمزة إذا حذفت الألف من : ﴿أَرأَيت﴾:

قال رحمه الله تعالى: إذا ثبتت الصورة فتجعل الهمزة فوقها بلا إشكال، وإن حذفت هل تجعل الهمزة فوق الملحق أو في السطر؟ لا نص، وإليه أشار في الدرة بقوله:

والحذف في أرأيتم هل يجري مع لغة التسهيل حال النبر
إن قلت يجري أين يلقى النقط لا نص في الإلحاق بان الشرط[33]

112/ ص 127.

2. ضبط كلمة: ﴿ءأمنتم﴾ [الأعراف: 123] لقنبل:

قال ابن القاضي: وضبطه على المعهود بجعل نقطة البدل في السطر والتسهيل فوق الصورة، والإلحاق بعده، وإن تشأ وضعت واوا حمراء عارية من البدل، أو يجعل البدل عليها، وإلى هذا أشار في الدرة بقوله:

ويقرأ الأولى بواو قنبل في الملك والأعراف حين يصل
ورسمه ضع واوه حمراء وفوقه شكل كذاك جاء
وبعده الهاوي بالسوداء وفوقه النقط بالحمراء

بعيده في سورة الأعراف الألف الحمرا بلا خلاف[34]

خاتمة

بعد هذه الجولة المتواضعة مع الإمام ميمون مولى الفخار وكتابه الدرة الجلية، خلصت إلى جملة من النتائج:

أولا: العطاء الكبير والثر للمرسة القرآنية المغربية، فلقد خرجت أجيالا من العلماء الذين كان لهم دور كبير في خدمة كتاب الله تعالى.

ثانيا: الجهد الكبير الذي بذله الإمام ميمون مولى الفخار في علم القراءات القرآنية، وما تعلق بها من علوم، رغم الرق والفقر، فلقد عبدا، وكان فقيرا حتى مات جوعا رحمه الله تعالى.

ثالثا: القيمة العلمية الكبيرة لكتابه الدرة الجلية الذي يعد مرجعا أساسا في علم الضبط القرآني، لإمامة مؤلفه من جهة، ومن جهة أخرى كون مصادره هي أمهات هذا الفن، ومن جهة ثالثة حفاظه على مذهب إمام من أئمة هذه المدرسة ضاع كتابه في هذا الفن، وله وزن كبير هو الإمام التجيبي، ومن جهة رابعة الأسلوب الرائع الرائق الذي نظم به ميمون هذه القصيدة.

وأخيرا أسأل ربي التوفيق والسداد والهدى والرشاد، وأن يرحم الإمام ميمون رحمة واسعة، وأن ينفع بكتابه، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

1 سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: عبد الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 4/2.

2 الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 194/10.

3 درة الحجال في أسماء الرجال، أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور مكتبة دار التراث، القاهرة، 15/3.

4 ينظر: الضوء اللامع، 194/10، وطبقات الحضيكي، 387/2، ودرة الحجال، 15/3.

5 منظومة فيها أسئلة وجوابات للشيخ ميمون الفخار، ضمن مجموع سيدنا عثمان، رقم: 259، ق/235، وينظر: الفجر الساطع والضياء اللامع في شرح الدرر اللوامع، عبد الرحمن بن القاضي، دراسة وتحقيق: أحمد بن محمد البوشخي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، ط1 سنة: 1428 هـ/2007م، 4/89-90.

6 فهرس ابن غازي، محمد بن أحمد بن غازي، تحقيق: محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ص 36، 37.

7 فهرس ابن غازي، ص 33.

8 الفجر الساطع، 52/4.

9 فهرس ابن غازي، ص 33، 35، وسلوة الأنفاس، 4/2.

10 طبقات الحضيكي، 387/2.

11 ينظر: الضوء اللامع، 194/10، وفهرس ابن غازي، ص 39، ودرة الحجال، 15/3، وسلوة الأنفاس، 4/2.

12 طبقات الحضيكي، 387/2.

13 درة الحجال، 15/3.

14سلوة الأنفاس، 3/2.

15 الردة الجلية، ق/269-أ.

16 كما في النسخة التي بخزانة ابن يوسف بمراكش. ينظر: فهرس مخطوطات خزانة ابن يوسف بمراكش، الصديق بن العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1 سنة: 1414هـ/1994م، ص 89.

17 الدرة الجلية، ق/308-أ.

18 الدرة الجلية، ق/308-أ.

19 الدرة الجلية، ق/269-أ.

20 وعندي صورة منها.

21 فهرس مخطوطات خزانة ابن يوسف بمراكش، ص 89.

22 الدرةالجلية،ق/279-280.

23سلوة الأنفاس، 3/2-4.

24 الطراز في شرح ضبط الخراز، محمد بن عبد الله التنسي، دراسة وتحقيق: أحمد بن أحمد شرشال، طبع مجمع الملك فهد بالمدينة النبوية، ط 1 سنة: 1420هـ/2000م، ص 109.

25 الدرة الجلية، ق/276-أ.

26 بيان الخلاف، ق/3-ب.
27 الدرة الجلية، ق/283/أ.
28 قراءة الإمام نافع عند المغاربة، 3/501، نقلا عن إزالة الشك والإلباس لابن القاضي.
29 الدرة الجلية، ق/283/أ.
30 بيان الخلاف، ق/2-ب.
31 المصدر نفسه، ق/5-ب.
32 قراءة الإمام نافع عند المغاربة، 3/503.
33 الإيضاح لما ينبهم عن الورى في قراءة عالم أم القرى، عبد الرحمن ابن القاضي، تحقيق: محمد بالوالي، مكتبة الطالب، وجدة المغرب،ط1 سنة: 1427 هـ/2006م، ص 111-112.
34 المصدر نفسه، ص 126-127.